الذي كان عليه العام ١٩٦٧، وهذا أمر طبيعي، نتيجة تطوّر الحياة ذاتها، ولا يعقل ان يبقى مستوى المعيشة ثابتاً خلال عشرين سنة، الاّ انه، مع ذلك، لا مجال لمقارنة مستوى الرخاء بين الجانبين. ويكفي ان نعرف، ان ناتج الفرد في الضفة الغربية يبلغ حوالى ثُلث ناتج الفرد الاسرائيلي، ويبلغ في قطاع غزة حوالى سُدس ناتج الفرد في اسرائيل[١١]. ونتيجة لكل ذلك، يختلف الاسرائيليون في تقدير نسبة الضائقة الاقتصادية كعامل مسبّب للانتفاضة. فبينما يقدرها البعض بنسبة ٤٨ بالمئة، يرى آخرون ان وزن العامل الاقتصادي أقل من ذلك بكثير. فوزن العامل الاقتصادي، من وجهة نظر هؤلاء، لا يكاد يذكر بالنسبة الى العامل الأساسي للانتفاضة، «فالرغبة في اقامة دولة فلسطينية، حتى ولو بثمن من الجوع، هي أقوى من أي شيء آخر»[١٢]. وفي هذا السياق، جاء تحرك سكان الاراضي المحتلة في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، حيث وجد الاسرائيليون أنفسهم وجهاً لوجه مع الشعب الفلسطيني، العدو الحقيقي لهم، عليهم مواجهته في معركة اضطروا الى خوضها في المكان والزمان الذي اختاره الفلسطينيون، وبأسلوب جديد لم يرغبه الاسرائيليون، ولم يتوقعوه بطبيعة الحال؛ ولن يعود الوضع الى سابقه قبل الانتفاضة، وسوف تستمر عمليات مقاومة الاحتلال؛ وأي هدوء، أو توقف، «سيكون بمثابة مهلة زمنية لتأهّب الفريقين للمرحلة المقبلة»[١٣]. فالمواجهة تحدث بين شبان فلسطينيين، ابناء جيل ترعرع وتثقف تحت الاحتلال، «جيل عزل القيادة القديمة والمؤسسية، وهو يحتل مكانها، مُظهراً سيطرة تكاد تكون كاملة على مخيمات اللاجئين، وعلى الشارع الفلسطيني»[١٤].

ويعتقد الاسرائيليون بأن سكان المناطق المحتلة يبذلون جهدهم لترجمة انجازاتهم بخطوات سياسية تمهّد لاقامة دولة فلسطينية. وهذه أول مرة في تاريخهم لا يعتمدون على جهة خارجية تقوم بالعمل من أجلهم. «وقد أعطى اعلان الملك حسين فك ارتباط الضفة الغربية مع الاردن، عملياً، الدفعة الأخيرة، والأقوى، لميلهم الى أخذ زمام مصيرهم بأيديهم، بواسطة م.ت.ف. وهم يحثّون الآن زعامة م.ت.ف. والمجلس الوطني الفلسطيني على بلورة مشروع سياسي، ووضعه موضع الفعل»[١٥].

الصراع فلسطيني ـ اسرائيلي

المواجهة، اذاً، هي مع الحقيقة الفلسطينية التي حاولت القيادات الاسرائيلية المتعاقبة، وبمختلف اتجاهاتها السياسية، تغييبها، والبحث عن حل اقليمي، أو دولي، لما اصطلح على تسميته أزمة الشرق الاوسط، متجاهلين، بذلك، الطرف الحقيقي الذي يجب الاعتراف بوجوده وبحقه المشروع على أرض وطنه.

لقد استطاع الاسرائيليون، عبر قوتهم العسكرية، ومن خلال الحروب، أقلمة الصراع او تدويله حيناً، وتجميده في أكثر الأحيان؛ الاّ ان الانتفاضة استطاعت، خلال وقت قصير نسبياً، تصحيح الكثير من الأمور في معادلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، ووضعه في قالبه الصحيح؛ اذ ان المواجهة، الآن، هي فلسطينية ـ اسرائيلية في اطار الصراع العربي ـ الصهيوني. فالفلسطينيون في الاراضي المحتلة هم التجمّع الفلسطيني الأكبر بين التجمعات الفلسطينية الأخرى، وهم بؤرة النشاط الوطني بعد العام ١٩٨٢ والقاعدة الشعبية للحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة بقيادة م.ت.ف. وقد اجتاز هذا الشعب، طوال أكثر من عشرين عاماً من الاحتلال، «مساراً مكثّفاً من الفلسطنة، بمفهوم تعزيز الوعي والهوية الوطنية الفلسطينية»[١٦].

لقد أعادت الانتفاضة الفلسطينية، منذ العام ١٩٨٧، الصراع في الشرق الاوسط الى سابق عهده قبل أكثر من مئة عام، عندما حصلت المواجهات الأولى بين الصهيونيين القادمين من أنحاء